الأبواب المغلقة

قصة بقلم عطاء النقاش

« الى ع .. السمراء »

انا قد سئمت حياتي على نحو مر ومضن وقاتل ، فالاصدقاء قد فرغت أكفهم من الدفء ، وعيونهم اصبحت اشد ضراوة ، وحزن سديمي يغتال قلبي في كل صباح ، وفي كل امسية ، واشباح هلامية تسبح امام عيني المعتمتين المنطفئتين ابدا ثم تعود فتتقوقع في داخل نفسي المكتئبة وفي جانب من ضميري المتعب .. في ليالي الصيف ارتجف فرقا .. وفي ليالي الشتاء يتصبب جسدي بعرق الهم الدائم المقبض . بيني وبين الاخرين ابعاد اخاف ان اكسرها واذوب فيهم .. وأود لو افعل ذلك فان الامر يصبح ايسر احتمالا عندما تبتعد عن عيون الاخرين التي تاكل وجودك وتعريك من كل شيء .. اخاف ان يهصروني بينهم لو تقدمت ، واخشى العيون عندما احتفظ بمكاني .. ما من مرة حاولت فيها ان اغزو اكتئابي وخوفي الا وعدت في نفسي خيبة وبقلبي انقباض انظر الى قدمي المرتجفتين وابتسم في بلاهة .. لقد انفصل في داخلي كائن بغيض واستقل بوجوده .. راح يتغذى على دمي ورحت ارعاه بذهني المكدود وغصة حلقي ...

بالامس ... دققت بابنا ودخلت مسرعا ... فتحت باب الحجرة المضيئة امامي ثم توقفت وابتسمت .. كان ثمة انسانة وديعة في ركن من اركان الحجرة منكمشة كالقطة المذعورة ، وفي مواجهتها كان هناك انسانة اخرى اكتشفت فيها اختي ... اقترب راساهما ثم ضحكتا بصوت مكتوم .. ومددت يدي اتناول كفا هشة طرية .. وجلست فحدقت في عينان بين لحظة واخرى ، واقتربت بمقعدي من الفتاة الاخرى ورحت اتامل شعرها الذهبي وعينا اختي القاسيتان تحدقان في وجهي بغيظ مكتوم وقلت ضاحكا : « ـ استمرا .. »

ولكنهما كانت قد توقفتا تماما عن مواصلة الحديث فتساءلت : « كيف الحال ؟ »

فردت شفتان تتضرجان بماء الخجل ردا لطيفا .. ودقت في ارض الحجرة قدمان اخريان دقا قلقا ، وانخفضت عينان زرقاوان وارتفعت عينان سوداوان ... وحدقتا ... عبثت يداي باوراق فوق المنضدة ، وتناولت صحيفة اليوم وفتحتها امام عيني فترة لم اقرأ فيها شيئا .. ولم ادر عم كنت ابحث عندما قلبت اوراق المائدة ثم اعدت تنظيمها مرة اخرى، ورحت افرقع اصابعي وابتسم وادق بقدمي قاعدة المنضدة . ساد الصمت طويلا .. او هكذا خيل الي ، فقلت باسما : « ـ انت جميلة جدا ياليلى .. هل تدرين ذلك ؟ »

واخترقت وجودي نظرات نارية حادة وقاسية فاحسست بعرق بارد يتصبب فوق وجهي . . ووقفت برهة لاادري ماذا افعل بينما كانت ليلى تذوب خجلا وتساءلت بيني وبين نفسي :

هل اخطات ؟ .. وبصورة تلقائية مددت يدي ومررت برفق فوق خصلات الذهب السارح على جبهتها « ـ لكم هو جميل ذلك الشعر الناعم يا ليلى.. اظنك سعيدة بهذه الثروة من الذهب.. هه.. لماذا لا تتكلمين؟»

ورأيت وجهها يتصبب عرقا واحمرارا . ونهضت اختي وانسحبت بخطوات ثائرة حتى بابه الحجرة ، ثم نادتني . فربت على ذقن ليلى ثم انسحبت وراء اختي حتى الحجرة الثانية ودلفت من الباب فصفقته اختي خلفي ثم اغلقت النافذة واستدارت نحوي فعقدت يدي فوق صدري .. « ـ ماذا ؟ »

« ـ انت صفيق وسافل ولا تحترم احدا »

وانفجر شيء ما في صدري قتلته باحتمال : ربما قد صنعت شيئا سيئا .. وتساءلت في حنق :

ـ « هل تعتقدين ذلك ؟ » فقالت بحدة ووجهها يكفهر :

« ـ هل تعتقد ان الحياة رواية من روايات سارتر ؟ »

« ـ قد اكون سافلا وصفيقا ولكن ماشان سارتر بذلك .. انت نفسك تعجبين به ولا تستطيعين انكار ذلك !! »

« ـ هل تعطيني درسا في الفلسفة حضرتك .. يجب ان تعترف بان ما فعلته خطأ، وانك حيوان،كل ما تستاهله هو ان يبصق الانسان في وجهك.»

« ـ معذرة .. هل هذا هو رأي ليلى ايضا .. ليلى اكبر مني بثلاث سنوات على الاقل فهل تعتقدين ان ذلك يضيرها بصورة او باخرى ؟؟ »

« ـ الا تسمع نحيبها بالداخل .. انها رقيقة الى ابعد الحدود ... وانت بوقاحتك هذه تستطيع ان تجرح حياء اي بغي »

وتصاعد من الداخل صوت بكاء مكتوم كمواء قطة كسيرة

« ـ اعتذر اذا كان بدر مني ما يسيء ... انا تصورت ان ذلك سيسر ليلى و. »

« ـ اخرس .. فانت وضيع ويجب الا تضيف حرفا اخر . »

واندفعت الى الخارج وجسدها يهتز من الغضب ، ومن ورائها جذبت باب الحجرة بعنف وحشي فاشفقت عليه وهو يتردد خلفها واستدرت الى النافذة انظر خلال زجاجها الى الكائنات المتماوجة في الخارج ورحت اتساءل بيني وبين نفسي : لماذا كل هذه الثورة .. الاني ابديت رأيي في هذه الانسانة ؟ .. ومع ذلك فقد كنت على استعداد لاعتذر لو ثبت خطأي .. فقط لو ثبت ذلك . غير ان شيئا ما في عيونها منعني .. كان ثمة سد قوي قائم في زرقة العيون وفي اسودادها وعجبت : والناس يدعونهما من اكثر الفتيات ثقافة . حسن. جائز جدا ... ثم تساءلت بيني وبين نفسي : هل الثقافة كلام نقرأه به رؤوسنا وتظل نظريات وقواعد ؟ ام هي حياة نمارس فيها على الدوام مانعتقد بصحته ؟ ...

وكان ثمة اقدام نسائية تبتعد فوق بلاط الردهة وظلان غاضبان يسقطان من زجاج باب الحجرة .

وبالامس ايضا ذهبت الى ابي .. كان امتحاني قد بقي عليه مايقرب من اسبوعين وترددت قليلا قبل ان اطلب منه ثمنا لكتاب دراسي . لم اكن ادري عن ذلك العلم شيئا .. فقد اصبنا طوال العام بمدرس انيق يأتي كل صباح بعربة خاصة ثم يعود بها في نهاية اليوم ويتحدث طوال

الدرس عن النساء وعن الازياء .. كان يعرف في الاعضاء التناسلية اكثر مما يعرف في اي شيء اخر وكانت النتيجة انني اضطررت الى طلب ثمن كتاب لهذه المادة وانا اقف بين يدي ابي كالمذنب ، وطالت وقفتي فكررت طلبي هامسا قبل ان ينفجر ابي :

« ـ لن ادفع لك مليما واحدا !! » فتساءلت في خوف :

« ـ وماذا علي ان افعل اذن لكي تدفع ؟ »

« ـ لاادري .. افعل مابدا لك »

« ـ وماذا علي ان اصنع ؟ »

« ـ هذا شأنك وحدك .. » واندفع صوت اختي مغيظا محنقا من زاوية الحجرة :

« ـ ماذا كنت تصنع طوال العام وماذا كان يصنع استاذكم .. هه ؟ »

فانسحبت في ذل خافض الراس وقد انتابني ذعر مخيف وجلست ساهما في الحجرة الاخرى تراودني رغبة في ان اقول شيئا ما .. وددت ان اقول لابي: كم انت قاس يا أبي .. كم كنت اود ان تكون اكثر عطفا علي ... لماذا كل هذه القسوة .. كان بامكانك ان ترفض بطريقة اخرى ـ ووددت ان استدير لاخوتي جميعا ثم اضيف : انني امقتكم جميعا ياأخوتي ـ ولكن شيئا ما في عيونهم كان يمنعني .. كان ثمة سد قاس ومخيف ورهيب يمنعني ويحبس الحروف على شفتي ويميتها ..

وعندما كنت ذاهبا في الصباح لاؤدي امتحاني .. كان ابي يدعو لي وهو يصلي الفجر .. وخرجت ودعواته تلاحقني وكنت حتى ذلك الوقت حزينا مهموم النفس .. ذكرتني دعواته المتواصلة وانا في طريقي ببسمة انارت حياتي فترة من الزمن وبدعوات طيبة اراحت وجودي باكمله فترة اخرى ... ذكرني ذلك كله بامي وهمهمت وانا امضي في طريقي :

« ماكان يجب ان تموت امي هذه » . وفي المساء كنت اود ان اقول لابي اشياء كثيرة ، كنت اريد ان احتضنه واقول له انني احبه ، واجعله يربت ظهري وكتفي كما كان يفعل في الماضي .. غير انني شعرت في عينيه بظل وفي وجهه بوجوم فامتنعت وحييته ثم انصرفت لاتمرغ فوق فراشي حتى منتصف الليل والف سؤال يقتحم سكينة ذهني المتعب ويهدد رغبتي الحادة في النوم ويسخر من ارهاقي وتعبي طوال اليوم .. ذلك انه كان ثمة في عيونهم شيء ما يشبه جدارا هلاميا مرتفعا يتماوج بلا توقف .. .وكان بنفسي رغبة في قول اشياء عديدة .

***

واليوم .. كان وجه الافق يتضرج بالحمرة عندما ارتديت ملابسي وذهبت في لحظة من لحظات القلق والضياع لابحث عن بعض الاصدقاء .. فتحت لي الباب امها واسرعت داخلا علي القى احدا .. لم يكن بالبيت غيرها هي الشقراء ذات العينين الزرقاوين .. كانت تجلس في الشرفة تحيط بها بعض اواني الزرع وتسرح بعض صغار الكتاكيت .. كان هنار صبار وشجرة لبلاب طرية ... وكان هناك ايضا بعض الزهور .. وكان بيدها كتاب مفتوح نصف فتحة ، وقالت لي امها :

« ـ انها تذاكر .. لم يبق على امتحانها سوى القليل »

ابتسمت في وجهها وحييتها وسلمت وجلست قبالتها زمنا نتساءل عن احوالنا ثم قلت لها :

« ـ ليلى .. يجب ان انسحب .. فبالتاكيد انني اسبب لك شيئا من الضيق .. يجب ان تذاكري كما يحلو لك » فقالت بنبرات كسيرة متقطعة:

« ـ انني لا اذاكر وقد ظننتني كذلك خطأ انت الاخر !»

« ـ حسنا .. اذا لم اكن اضايقك فانني احب ان اجلس قليلا .. ماذا تصنعين اذن »

فأغلقت الكتاب ودمعت عيناها :

« ـ هل أسألك سؤالا ؟ »

« ـ بكل تأكيد ! »

« ـ لو ان هناك انسانة على وشك الزواج ، وزوجها مركزه الاجتماعي محترم جدا ، واخلاقه رائعة ولكنها لاتحبه ، فماذا تصنع ؟ »

عقدت كفي فوق ركبتي اليمنى ولزمت الصمت ساعة قبل ان اتساءل هامسا :

« ـ افصحي ياليلى ! »

« ـ اسمع .. انت لي اكثر من أخ .. ولكن اقسم اولا انك لن تقول ذلك لاي انسان .. » فاقسمت ..

« ـ انا لا احب خطيبي احمد .. هو انسان محترم ومؤدب ووادع .. ولكنني لااحبه . اشعر اني لااستطيع ان اربط حياتي بحياته .. اقول لك ذلك لانه قد جاء اليوم فقط .. وكانوا يدفعونني لكي اقابله .. انا اخاف ان القاه .. فهو يسترسل في احلام ترعبني .. انه مفروض علي اكثر من اي شيء اخر .. ولقيته وقلت له ما وردت قوله من زمن بعيد .. هل انا محقة ام مخطئة ؟انه انسان نبيل ومخلص واشعر بذنب هائل كلما تذكرت وجهه والدم يفيض منه ساعة قلت له : « لا احبك » .. في الحقيقة انني لم افاجئه فهوقد سألني في البداية لماذا لم اقل له انني احبه رغم انه كان يقول لي ذلك دوما .. عند ذلك اجبته بصراحة « انني لااحبك ولا اريد ان اخدعك واخدع نفسي .. انها مسالة عمر كامل وليست اياما او سنين وتنقضي » . لقد اربد وجهه واكفهر وكان على وشك البكاء .. اما انا فقد كنت ابكي بالفعل .. ولكنه شكرني .. وذلك مما يزيد في احساسي بانني ارتكبت جريمة في حق هذا الانسان الوديع .. لقد شكرني وكرر شكره ولكنه طلب مني ان احاول ذلك مرة واحدة ولفترة قصيرة .. ومع ذلك وعدني انه سيخبرهم ولكن بعد ان انتهي من الامتحان ... »

وانسابت دموعها متتابعة وغزيرة فناولتها منديلي :

« ـ تستطيعين ان تكفي عن ذلك »

« ـ ماذا علي ان اصنع الان ... انني لم اقل ذلك الانسان ولا ادري ماذا كنت انا فاعلة لو لم تأت .. ماذا ترى في هذا الامر .. لشد ماانا خائفة .. »

« ـ اسمعي يا ليلى .. انا احبك تماما ولا اريد لك ان تقعي في مثل هذه الامور .. الحل الذي اقترحه احمد .. ان تفكري مدة اطول يكون سليما وايجابيا في حالة واحدة .. الا يكون هناك انسان اخر تفكرين به .. ذلك ان احمد انسان نبيل ورائع .. اما اذا كان هناك انسان اخر .. فاخبريهم اخيرا .. انت او هو سيان يجب ان يعرف الجميع.. وثقي انك على صواب تماما حتى هذه اللحظة .. »

« ـ ابي .. وامي .. واخوتي .. انت لاتتصور كم يحبون احمد وكم سيثورون ضدي . انني لااستطيع ان اواجه عيونهم القاسية .. فهم يعتبرونني اكثرهم حظا .. اه . لكم اخشى عيونهم .. المتوحشة .. »

« ـ من يحب منهم احمد فعليه ان يتزوجه .. اما انت فلا يجب ان تتعذبي بهذه الصورة .. من حقك ان تختاري حياتك على النحو الذي يرضيك فانت لست صغيرة .. الى جانب انك انسانة شجاعة ..قوية وجريئة . جربي مرة ان تعيشي ماتعتقدين . جربيه مرة واحدة . جربي ان تمارسي ثقافتك وعلمك . انا حزين الى حد الموت .. حزين من

اجلك ومن اجل من يعرفون بزيف عواطفهم ويخافون من مواجهةالحقيقة.. ومن اجل نفسي ايضا ليلى .. ارجوك .. تكلمي وقولي ذلك .. بعد ايام ستنتهين من الامتحان وسيصبح مصيرك ... مصيرنا جميعا ، معلقا واجهيهم مرة واحدة ولن يتخلى احد منا عنك ، ارجوك ان تفعلي ذلك »

ظلت صامتة عيناها ندممان ووجهها اصفر شاحب تنظر في اضواء الطريق تاكل عيوننا وتثير في نفوسنا حزنا بهيميا عميقا لاحدود له ..

« ـ في الغد عندما انتهي من الامتحان سوف ينتهي كل شيء .. سأتكلم ولن اموت لو تكلمت .. لن اموت ولن اضعف .. في الغد سوف يكون كل صباح ملكي .. وكل الامسيات ستكون ملكي وحدي .. في الغد سوف يتغير كل شيء »

فبضت على يدها برفق وضغطت عليها ضغطات رفيقة متوالية وربت خدها المبلل وودعتها ونزلت قافزا وفي نفسي سعادة مجنونة يكتنفها حزن لذيذ .. ليلى .. ليلى التي كان وجهها يتضرج خجلا عندما مسحت ـ انا الذي اصفرها باعوام عدة ـ على شعرها .. ستكون في الغد انسانة اخرى .. ستصبح انسانة واحدة وتصنع ماترى انه صحيح .

اليوم ايضا كان يجب ان اقابل صديقتي العزيزة فوزية ... وفي الحق انني وقد حدث ماكان لابد ان يحدث فيجب ان اعترف بانني قد وقعت اخيرا في حبها .. هي تتمتع بقدر رائع من الذكاء وان كانت تدعي الغباء كثيرا .. وهي لاتثق بنفسها وان كانت شديدة الثقة بالاخرين .. خفيفة الدم والحركة . .وهي الى جانب ذلك سمراء وجميلة .. لها عينان مفترستان عميقتان .. وشفتان رقيقتان وحشيتان عندما تهمس الي شيئا .. خضراء العود مثلي ومثل ليلى ايضا .. وفي الواقع انني قد قاومت نفسي كثيرا وصارعت عواطفي زمنا قبل ان اسلم بالا مفر في النهاية من ذلك الامر .. وفي الحق ان عواطفنا هي الشيء الوحيد الذي لانملك السيطرة عليه .. ولا نملك ان نحكمه كما نحكم الاشياء الاخرى ..

غادرت ليلى في بداية المساء وهي تستعد لليلة من ليالي القلق والعذاب التي نعرفها جميعا بصورة مماثلة . وكان في حلقي غصة وفي قلبي كدر وبنفسي اسى شديد .. ولقيت فوزية . انا اعترفت لفوزية بحبي من زمن .. وهي اعترفت لي كذلك بصورة مثيرة ورائعة ، وانا بي رغبة حادة في ان يعرف العالم كله بذلك وبي خوف مميت من العيون التي ترقبنا وهي ايضا تود في نفسها لو يعرف الجميع ولكنها تخاف من ان يعرف احد وتستحلفني في كل مرة نلتقي فيها الا اقول لاحد .. واذن فقد كان علينا ان نلتقي بعيدا عن العيون .. حدثت فوزية عن فتاة اخرى قالت لي انها تحبني وكنا الى وقت قريب مانزال اصدقاء فقط نتصرف معا ببساطة . فلما قالت لي ذلك ... كان امرا مسليا ان اقوله لفوزية ، فاخبرتها ذات مساء فاستاءت لحظات ولكنني عندما قلت لها انني قد قررت واخترت ، وضغطت كفها بين يدي ... ابتسمت ورمت كفها الاخرى فوق ذراعي وهي تهمس بعنف وتدفق :

« ـ ياعزيزي .. ياعزيزي .. »

وسرحت قليلا وفكرت وقلت في نفسي وبراسي تدور دوامة : هل انا المسؤول عن حيرتي، هل نحن مسؤولان عن اضطرابنا ام هم الناس ؟ أم ان هناك شيئا اخر ؟ !!

كانت عيناي ترتميان في عينيها وتظلان هناك زمنا ترتاح في اعماق عينيها باستمتاع مخدر الى ان تبدأ عيون الاخرين في مهاجمتنا ...عيون اخيها ، واختها ، امها وابيها .. ولكننا في الخارج نستطيع ان نستمر :

هكذا فكرت .. غير انني كنت مخطئا ... فقد كانت العيون اكثر مما تصورنا .. .وشعرنا للوهلة الاولى باننا محاصرون بمئات العيون والوجوه المتوحشة وبالاخص عندما ربت كتفها ووضعت يدي في شعرها الاسود .. ونهضنا .. سرنا طويلا بينمئات العيونوقد استبدت بنا الحيرة والوجوم

في تلك اللحظة التي يصبح فيها الصمت عارا ... وفي اللحظة التي تنفق فيها العيون على هذه الحقيقة .. ويصبح التلاقي سهلا الى ابعد حد .. لذلك . فقد اتفقنا على اننا في الغد سوف نحكي كل شيء بجرأة وشجاعة وليفعل كل انسان مابدا له ..

« ـ من حقنا ان نتصرف بحرية دون ان نشعر باننا مراقبون من احد . هل تفهمين يافوزية »

فهزت راسها كما لو كانت تفهم ..

واليوم ايضا ذهبت للمرة السابعة على التقريب الى الرجل الضخم ذي الوجه الجاف ينظر الي من خلف منظاره ويفحصني زمنا ثم يقول لي :

« ـ انتظر .. ان السيد المدير مشغول في اجتماع »

او : « ـ انه لم يأت بعد »

وكعادتي في كل يومجلست ومعي اخرون ساعة وساعتين ضم بعدها الرجل الضخم دفاتره وخلع منظاره ثم مسح عينيه وحمل جاكتته وقال :

« ـ غدا تاتون لتقابلوا المدير فقد انصرف اليوم مبكرا »

وراودتني رغبة في ان اقول له :

« ـ انتم مخادعون .. وصعاليك ولو ان معي مسدسا لقتلتكم جميعا. في هذه اللحظة .. اذا لم تكونوا بحاجة الى موظفين جدد فلماذا تفعلون بنا ذلك ... لماذا كل هذا العذاب » غير انني كنت اتراجع تماما عندما انظر في عينيه بعد ان يمسحهما وبعد ان ينصرف الباقون يغمغمون متذمرين في استسلام .. كان هناك شيء ما يقف بيني وبين ان اقول ذلك .. او قد خيل الي ذلك فارتجفت قدماي .. اعتقد من الغضب .. وخاصة انني كنت افكر بسلاح ما . وقد توقفت وحدي

فاستدار الرجل مبتسما في اتجاهي :

« ـ ان ذلك لن يحل المشكلة ياصغيري .. »

وضحك بصوت مرتفع وقبل ان اسأله : « ـ ماذا ؟ » كنت قد مضيت مسرعا في طريقي خلف الركب المتعب المكتئب ...

***

في الغد ..

سوف اذهب الى ابي وافول له : انني احبك جدا ياابي وسأحكي له بتفصيل طويل لماذا احبه .. ولماذا كنت قد ضقت به يوما ما

سوف اجمع اصدقائي واقول لهم :

« ـ ياأعزائي انني احبكم جدا لانكم طيبون وبائسون ومضيعون مثلي ... انا احبكم جدا واخشاكم وامقتكم لانكم تتخلون عني في بعض الاحيان ... امقتكم باخلاص واحبكم بعنف .. »

وقد اضيف شيئا ما اوضح ذلك الامر ، وسأمد يدي بعدها اصافح كلا منهم على حدة وسأبتسم في وجه بعضهم واخذه بين ذراعي بصدق وحرارة ... وساهز راسي في وجه بعضهم الاخر وامط شفتي في اسف شديد ثم انصرف دون ان امد يدي على الاطلاق ..

سوف اذهب الى الموظف الضخم ينظر الي من خلف نظارته الغليظة وسأقول له :

« ـ اريد ان ارى المدير .. »

وسيقول لي ايضا دون ان يرفع عينيه عن الورق :

« ـ المدير مشغول جداً ... فانتظر قليلاً ... »

وساقول له ثانيـــة :

« ـ يجب ان ارى المدير في الحال وبدون تأخير ثانية واحدة ... »

وساشهر في وجهه سلاحا ذا حدين وعند ذلك سوف يقودني حيـــث اجد نفسي امام المدير وجها لوجه ... وساظل اعبث بالسلاح في يـدي وهو ينظر اليه في رعب وخاصة عندما يجد الاصرار يشع من عينـــي المغضبتين وعند ذلك ساصرخ في وجهه محتدا :

« ـ سيدي .. انت غشاش ومخادع ، ومن الافضل لك ان تظهر على حقيقتك .. كم موظفا تريد من هؤلاء المائة الذين يترددون عليك كل يوم..»

وقد يقول لي عند ذلك وهو يستدير ليجلس على مكتبه مبتعدا عـن مـــدى الســـلاح ..

« ـ في الواقع خمسة فقط .. »

وبالطبع لن اكون انا من بينهم غير انني سوف ارغمه بغضب مجنـون على اختيار هؤلاء الخمسة وسينصرف الباقون يبحثون عن عمل مـــا وانا معهم اعيد سلاحي الى جيبي بعد ان يكون قد جرح يدي .. ثمنـا للبحث عن الحقيقة ...

وفي المساء ... سوف اذهب الى فوزية بمنزلها كما تعودت ذلك من زمن انادي اخوتها واخواتها جميعا .. وامها واباها ولو وجد اي مـن اقاربها او صديقاتها فسوف يكون ذلك افضل .. وعند ذلك سأشدها الى جانبي وستبتسم وهي تلتصق بي في قلق وخوف .. وعند ذلـــك ساقول للجميع وهم يتبادلون النظر في حيرة وارتباك وربما فـــي سخريـــة .. »

« ـ انني احب فوزية بجنون .. »

وستقول هي وربما سيكون في صوتها بقايا خوف فيأتي اشبـــه بالهمس :

« ـ وانا ايضا ... احبه ... »

وسيشجعني ذلك بالتاكيد على ان استمر وعند ذلك ساتم :

« ـ وانا لست ادري ما هو مصير حبنا ... ولكن الذي اعرفه واجيـد معرفته هو انني احبها وساظل احبها هكذا . انا لا اقول ذلك كي تبـدو على وجوهكم الدهشة ولكي تسبوا وتلعنوا ... ولكن لكي احمي نفســي من عيونكم ومن شكوكم بنا .. »

وعند ذلك سيفاجا الجميع وستلتصق فوزية بي اكثر من اي وقت مضى ، وسالتصق بها اكثر وساجد ان ذلك امر ممتع وسافكر بان نبقى هكذا مدة اطول .. فما اجمل ان يظل الانسان ملتصقا بانثى دافئـــة مرتجفة .. وسيعرف كلانا اننا اصبحنا اكثر ارتباطا وقد تبكي امها ساعتئذ ولكنهم سرعان ما سيستسلمون في النهاية وقـد اقرب وجهي من وجهها ثم اقبلها بعنف وشوق لم اعرف طعمه حتى الان وسيكون ذلك دون تردد وبالاخص عندما ستبحث شفتاها عن شفتي ...

في الغد سوف نكسر حدة العيون التي ترقبنا وتعكر حياتنا وتكدرهـا وتنشر فيها الاسى والجمود ... سنحطم سدودها القائمة .. فـي الغد سوف تزول كل تلك السدود وسوف تنفتح الابواب المغلقة في وجه حبنا وكراهيتنا ... يأسنا واملنا في وجه ارادتنا المندفعة نحو المستقبل .. سوف تنفتح هذه الابواب وسوف تكون اكثر مما تصورنا اتساعا ورحابة..

غير انني اخشى .. اخشى ان نعود فنتخاذل .. اخشى ذلك الـــى حـــد المـــوت

ولكن من المؤكد انه في الغد سوف تذهب ليلى الى ابيها لتقـــول له ماتود قوله منذ زمن طويل ... ستذهب اليه وقد يكون في عينيهـــا بقايا دمع من الليلة السابقة لتقول له :

« ـ بابا ... انني لااحب احمد .. وانا لااستطيب ان اتزوجه علـى الاطلاق .. انتم فرضتموه لانكم تحبونه .. اما انا فلا احبه ابدا .. ولن استطيع ان احيا معه ، لا ... لا استطيع .. ذلك هو الامر الوحيد الذي لاتستطيعون ارغامي عليه .. بابا .. انت تعرف كم احبك .. »

وقد تقبله عند ذلك مثلما كانت تفعل في الايام السابقة وسيدفعهـا هو في صدرها ليبعدها عنه :

« ـ .. ولكنني اعرف نفسي اكثر منكم .. ارجوكم .. افهموني .. ان في حياتي انسانا اخر وانا لا احب احمد برغم كل ما يميزه عـن الاخريـــن .. »

ستقول ذلك حتما وسيجفل ابوها وامها وقد تعتريهما رغبة حادة في البكاء ، او يتملكهم الوجوم الصامت .. ولكنها لن تتراجع .. حتى بعد ان تجذبها اختها الكبرى بغيظ مكتوم من شعرها وتصفعها على وجهها . حتى بعد ان يفر الدم من بين اسنانها لن تتراجع وستقول ذلك حتما .. لقد وعدتني بذلك حتى فيما لو فشلت انا نفسي .. لقد كان في عينيها اصرار .. رأيته عندما تبادلنا النظر زمنا ..

في الغد سوف نقوم جميعا بذلك كله ... فليس بالامكان ان نظل نكتم مابنفوسنا ونبقى مهمومين وسط الخوف والقلق والاعاصير تقريبا ... وكم نخشى ان تندفع فتفرقنا في اللجة العمياء المتلاطمة ، الزاخـــرة بالبشر ... وتصهرنا في تلك البوتقة المقيتة .. ثم نلقى انفسنا نمارس مايعيشونه دون تفكير وبلا رغبة .

لذلك فلا بد في الغد من ان نحتفظ بامكنتنا بعيدا عن الناس ونكســر حدة العيون ونفتح الابواب المغلقة .. وسوف تتغير نظرة الناس الينا .

في الغد يفهمنا الذين اساءوا الفهم في البداية ... سوف نحب بعضنا بعنف وحرية وسوف تكون رغباتنا هي مقياسنا وطريقنا ..

ان الشيء الوحيد الذي بقى مضيئا في حياتنا .. هو ان نامـــل دون ان نحس باننا مراقبون في امالنا ... لكم هو مؤسف وقاتل ان يشعر الانسان بان غده لم يعد ملكا له .

من اجل هذا سوف ينجح بعضنا في الغد ... حتى فيما لو فشلت انا فسوف اكون عظيم السعادة لانتصار ليلى .

وعلى هذا .. ففي الغد ... وفي مكان ما من هذا العالم ... وبطريقة ما . سيكون ثمة انسانة واحدة على الاقل قد بدأت تواجه عيون الاخرين وتكسر سدودها ، وابوابها وتنتصر لنا ... سيكون ثمة انسانة واحدة على الاقل قد احتفظت بالابعاد التي تريدها ان تكون بينها وبين الناس .. وستكون قادرة على ان تواجه عيونهم بشجاعة وبلا خجل .. دون خـوف من ان تنكشف اعماقها ودون خوف من ان تعرى من كل شيء... ستواجههم بثقة لانها بدأت تكشف عما تراه صحيحا بجرأة وصراحة ..

سيكون ذلك كله رهينا بالغد .. فربما .. ربما ..

ربما كان الغد يوما اخـر ..

القاهرة — عطاء النقاش

طبعت على مطابع :

دار الغد للطباعة والنشر

تلفون ٢٢٩٢١